وصايا أبي الحجا

وعى العقل يوما بعد أن كان هاجعا

ومن لي بوعي لا يقض المضاجعا

ومن لي بهمّ ٍ ألمعي إذا أتى

أتاكَ ولم يحملْ إليكَ المواجعا

وعى العقل من إغفاءة ٍ يعربيّة ٍ

فلما رأى وجه الحياة بلاقعا

تعاطى عقاقير السؤال فلم يجد

دواء صداع ٍ غير ذلك ناجعا

وساءل أين القوم؟ كيف تقوضت

صروح مساعيهم وكن فوارعا؟

تمثّلتُه في هدأة الليل ساهما

يكاد على الأطلال يجري المدامعا

فقلت له هوّن عليك أبا الحجا

أراك كما لو كنت نفسَك باخعا

تعال معي في العمر نمرح ليلة

ونصطاد غزلان القلوب الرواتعا

تبسّمَ مني العقلُ: يا يعربيّ ما

فتئتَ على عادات قلبك مائعا

عواطفك الأولى سيصنعن منك ما

من الأمم الماضين كنّ صوانعا

ولكن على سوق المعارف دلّني

لعل بها ما أشتهي من روائعا

سألتُ: وهل ترضى المعارف سلعةً

على الرف؟ إن العلم ليس بضائعا!

رويدك قال العقل نصف موبّخٍ:

إذا لم تبع فكرا فما كنت بائعا؟

رويـــدك فـالإنـسان يـزهـد فـي الـذي

أتـــيـح ولـــم يـبـرح بـمـا بـيـع طـامـعا

وكـــان حـصـيفا فـــي الـحـجاج كـأنـما

مـــن الـكـلم الـمنطوق حـاز الـجوامعا

أبـــا الـــرأي قـلـت اركـــب أُقـلّـُكَ بـينما

تـنـبـؤني، فـانـصحْ أُعِـــرْكَ الـمسامعا

وكـنتُ بـلا صـبرٍ كـموسى وكـان في

غـــرابـتـه كـالـخـضـر صـعـبًـا ولاذعـــا

تـوازنْ عـلى دراجـة الـشكّ قـال لـي

أراك بـغـيـر الـــشـك لا شـــك واقـــعـا

وحـــرّك بـزيـت الـبـحث سـاقـيك، إنـه

وقـــودُك لـــو يـومًـا عـدِمْـتَ الـدوافـعا

عن الحكمة ابحثْ في النهار بشمعة

تـضـيّـعـها دهـــرا، وتـُلـفـيـك ضـائـعـا

وإن فضولَ العقل أكرمُ طارقٍ

فأولمْ له إن جاء بابك قارعا

فضولُك يا موسى عصاك، بفضله

حجارة هذا الكون بتنَ نوابعا

وسبرُك أغوار الوجود هو الذي

به تقهر الماضي وتبقى مضارعا

تلذذ بما تجني من العلم ما استطعْ

تَ إن حري العلم ما كان ماتعا

جوازك بين الناس عقلك، لا تكن

بعقلك مزهوا ولا متواضعا

وإن كنت تبغي من علاك مكانة

فلا العلم مجنيا ولا الصيت ذائعا

ولا تستهنْ بالوقت أو تستخفّهُ

سيُصبحُ يومًا عقربُ الوقت لاسعا

عـلى عـطش الـتـنقيب ثـابر، ولا تقل

روِيتُ، تـكنْ من خمرة الكشف كارعا

ودرّب عـلى الـتجريب حـدسك، ربـما

غـدوتَ كـآينشتاينَ ذي الحدس بارعا

ولا تـتـبـع إلا خـيـالـك إنـنـي

أراك ضـريـرا حـيـن تـصـبـح تـابـعـا

وهـل لـصـقور الـفـكر قـنـص طـريـدة

وأعـيـنـهـا مـشـكـومـة بـبـراقـعـا؟

وإن كـنـت تـرجـو الـخـلد فـاسع وراءه

شـبـابًـا، فـلـوثـر كـنـج خُـلّـد يـافـعـا

إذا غـيّـر الإنـسـان مـا فـي صـميمه

فـلـيـس كـثـيـرًا أن يـغـيـر واقـعـا

ولا تـقـتـنـعْ جـدا بـشـيء فـإنـني

أعُـدّ قـنـاعـاتِ الـرجـال مـصـارعـا

وأخطئْ كثيرا كي تصيب لعلّ خلْ

ف غيمِك غيثًا، أو لعلّ مطالعا

*

قبضت على مخي بيسراي، ممسكا

بيمناي قلبا للّذائذ نازعا

أخلتهما إسفنجتين؟ لأنني

عصرتُهما حتى بللتُ الأصابعا

ولكنني لم أستطع قبضة على

ضميرٍ خلال الروح غار مُمانعا

إذا كنتَ ذا قلبٍ فقد عشتَ ظامئًا

وإن كنتَ ذا عقلٍ فقد متّ َ جائعا

وإن كنت من أهل الضمير فإنني

أراك غدا من سم سقراط جارعا

*

تـنـزل هـنـا يـا عـقـل بـيـن جـمـاجم

مـثـقـفـة تـغـلـي وبـيـن أضـالـعـا

هـنـا نـخـبـة الـرائـين أثـمـر زهـرهـم

وأثـقـل أسـوار الـحـديـقـة يـانـعـا

بـأشـمغة تـلـهو بـها الـريح إذ سـمت

عـلـى هـضـبـات الـنـور أو بـمـلافـعا

تـنـزل هـنـا يـا عـقل واحـصد بـنشوة

مـن الـتمر والـليمون مـا كـنت زارعـا

ودُمْ واعـيـًا يـا عـقـلُ وسْـط رؤوسـنا

عـسـاك إلـى إغـفـاءةٍ لـسـت راجـعا

للاستماع اضغط هنا